في كندا لمدينة منتريال ثلاثة أعمدة/ج2

الأمنُ (واقعا وشعورا) نِعمة، بدونه الكل يبدو مجرد مظاهر ملفوفة بنقمة، لا يستوي داخلها المستقيم بالقويم وإنما إطلالة على فتنة، تستدرج ألمستهلكي الصبر في الأقصى لمناشدة الخروج من التعلّق الهش بأطيب المُنَى إلى إصلاح جذري يشمل ما يُفْتَرَى به على التنمية وفي مجالس تُصبِحُ (بمجرد انتهائها) وَهْمِيّة، المَقصودُ من يائِها التلهية، بما أدْخَلوها في سياستهم كتقنية، تَوَهّمُوا بها أن السُذّجَ في عهدهم سيُكَوِّنُون (من تلقاء أنفسهم) الأغلبية الضعيفة دوما أمام نفس الثمانية. إنها الرؤية الصحيحة القائمة على الانفلات الأمني هنا وهناك وعليها بِضْعُ خُطَطِ في هذا الاتجاه مبنيّة، في بلاد ينشَغِلُ حُكّامها بمصالحهم الذاتية مرتبطين أشد ما يكون الارتباط بملذات هذه الدنيا الفانية، والباقي ليشرب من البحر أو يرضخ بالانزواء في عُشِّه خوفا من قطاع الطرق وسط مدن لا ينقصها إلا تجوال سكانها (ومن الجنسين) بأجساد عارية حتى يطمئن مُفسدوا الأمن أن لا شيء عند هؤلاء العُراة ما يمكن نهبه بالحيلة أو القوة أو وسائل (مسخ غير مسبوق) متنامية، وبذلك تُجَرِّدُ الدولة من صفة المحافظة على مواطنيها، ولها ما يؤهلها لذلك، لو لم يُجَمّد ما يَظْهَرُ فقط في مناسبات مُعيّنة، ولا لسان قادر حتى على الاستفسار، لذا تظل تلك البلاد شبيهة بالأصفار، لا قيمة لها إن لم تكن متبوعة منساقة مجرورة بعدد مصالح خاصة بجانب ضَرَبَ عرض الحائط

أنه مُسَتقْبِلٌ مهما عَمّرَ (ككل مَنْ على الأرض) المَنِيّة .

الأمن مرتبطٌ يَكونُ بالتربية الخاضعة لتَلَقّي مبادئ الحِكمة سَنَةً بعد سنة، منذ ما سَبَقَ وبعدها لَحَقَ، لمواجهة بما يلزم من قوة فكرية ووعي كافي، كل مخطط يرمي للاتقاء على مظاهر المحنة المرتبطة بتخريب (ما أمكن) من عقول والتّكْثير من وسائل التعنيف وبالتالي التخويف وما اندرج في هذا المعنى ليسود بين أقلية ما ينطبق في الجهات المنبوذة المندرج في سياق الدفع بمظاهر الفوضى للاستحواذ (في صمت شيطاني) على ما يُنْقَلُ بواسطة المُنْطَلِقِين مَثْنَى مَثْنَى لتَسْلِيمِهِ حُرّاسَ المغانم بنفوذ النّائِي لِمَقامِهِ عن المُساءلة وبَعْدَها الشعور بالندامة، الأمنُ سُلْطَة خفيّة في قبضة الحق، وعدالة سارية تمشي بين الناس بلا ضغوط مُسْتَفِزّة، ولا قنابل مسيلة للدموع لتكسير ضلوع نضال محفوف بمناعة حقوق الإنسان في جوهرها كسطحها لا يمكن أن تكون بالعصا مُدانة.

... في مدينة منتريال تحس منذ نزولك من الطائرة وتطأ أديمها للمرة الأولى أو المائة (أقل من ذلك أو أكثر لا فرق) بالأمن والأمان، تشعر أنك داخِلٌ لدولة تحترمُ نفسها في اعتزاز لاحتِرامِ زوارها مهما وصل عددهم، ومن أي وطن أو جهة أو قارة وفذوا، بدون اهتمام أكانوا من السود أو البيض أو الصفر، أَعَرَب هُم أم عجم مسلمون ام يهود أم أقباط أعداء بينهم أم أحباب، لا يثير لديها ذلك أي عجب ، الأمور محسومة مسبقا من المنفذ، من هناك، حيث ممثلوها على مختلف المستويات الدبلوماسية أو القنصلية لا يضيّعون وقتهم هباء بل فيما حمّلتهم كندا من مسؤوليات يحافظون بها على بلدهم مهما بَعُدَت، بالتأكيد ثمة رقابة وصارمة أيضا لكنها تتم في صمت داخل أماكن غير مرئية للعموم وبأسلوب مدروس لا يترك لطارئ أي حظ للتمدد إن كان بأهداف سلبية سيئة بأبعاد مُضرة، كل التخصصات الأمنية ومنها المخابراتية مجنّدة بالثانية لتَسْلَمَ كندا من نوايا غير سليمة، كامنة في عقلية من تسوّل لهم نفسهم إلحاق الضرر بتلك الدولة .

... حالما رست بنا الطائرة بعد التحليق فوق المحيط الأطلسي انطلاقا من الدار البيضاء عاصمة المغرب الاقتصادية لغاية منتريال على امتداد سبع ساعات وخمس وخمسين دقيقة، طلب منا قائدها أن نلزم مقاعدنا بأحزمة مربوطة امتثالا لرغبة رجال الأمن الكنديين، ولنظل على نفس الحالة ترقبا لما سيصدرونه كأمر جديد، بعدها شعرنا كركاب بطائرتنا تُجَرّ من مكان إلى آخر لوقت لا يُستهان به انتهى بتوقفها وإفساح المجال لمغادرتها في سلام لنجد أنفسنا داخل مطار مهيكل نظيف لا غوغاء فيه ولا صياح ملفت للانتباه، لا أحد يوجّه أحدا، كلٌ يتقدم لمسافات طويلة تتخللها سلاليم متحركة صعودا ونزولا ومنبسطة على شكل أرضية تُجَرّ آليا حتى تُرِيحَ المختارين لها من عناء المشي وكأنها في

سلاستها والأسلوب المصنوعة بها بساط مفروشة لأشهر نجوم الفن السابع وبين الحين والآخر ابتسامة ترحيب يُبدي بها القائمون على تدبير تلك المساحة فرحهم البيِّن بهذا العدد الهائل من الزوار، بما فيهم العائدون لمقر أقاماتهم الدائمة، لينتهي الأمر بتجَمُّع يتبع مَنْ فيه ممرات حلزونية تُبْقي الواصِلَ أولا الأول والثاني ثانيا بلا ازدحام ولا ارتباك ولا قلق على الإطلاق.

يتبع...